بسم الله الرحمن الرحيم
Omdurman Islamic University Journal for Human Sciences
(OIUJ)-(HUSC)
مجلة جامعة أم درمان الاسلامية للعلوم الإنسانية و الاجتماعية
https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj
https://doi.org/10.52981/oiuj v22i1.3494
2026 Jan; 22(1):24- 38
ISSN: 5361-1858
رجب 1447هـ

التّجلّياتُ الإسلاميّة في شعر الوافدين في صدر الإسلام
(قراءةٌ وصفيّة في شعر: العبّاس بن مرداس، وعبدة بن الطبيب، والنابغة الجعديّ)

د. عبدالله موسى سليمان أيّوب[1]

[1] كلية اللغة العربية ، جامعة أمدرمان الاسلامية ، السودان

للاستشهاد بهذا المقال:–

د. عبدالله موسى سليمان أيّوب ، التّجلّياتُ الإسلاميّة في شعر الوافدين في صدر الإسلام (قراءةٌ وصفيّة في شعر: العبّاس بن مرداس، وعبدة بن الطبيب، والنابغة الجعديّ) ، مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

ISSN: 5361-1858

https://doi.org/10.52981/oiuj. v22i1.3494

المستخلص :

هذه ورقة بحثيّة، في التجليّات الإسلاميّة في شعر الوافدين في عصر صدر الإسلام، تهدف إلى كشف الأثر الإسلاميّ في نفوس الشعراء، وخاصّة شعراء البادية الذين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم من البادية إلى الحاضرة. كشفت الورقةُ مدى العُمق الإسلامي في نفوس هؤلاء الشعراء، بعد أنْ مَنَّ الله عليهم بنعمة الهداية والإسلام. اختار الباحث لهذه الدراسة ثلاثةً من الشعراء المجيد في تلكم الفترة، وهم: العبّاس بن مِرْدَاس السلميّ، وعَبَدَة بن الطبيب، والنابغة الجعدي، فأجرى دراسته على مختارات من شعرهم المتأثر بالإسلام، ليستدلّ بذلك على الأثر الإسلاميّ في نفوس الشعراء في الجزيرة العربيّة. اتّبع الباحث في هذا الدراسة المنهج (الوصفي التحليلي)؛ حيث يذكر النماذج الشعرية المتأثرة بالمعاني الإسلاميّة، فيقوم بتحليلها وربطها بالنّص الذي تأثّرت به. تتكون الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة: خُصِّصَ كلُّ مبحث لشاعر من الشعراء الثلاثة الذين تدور الدراسةُ في شعرهم، وتحتوي الخاتمة على أهمِّ نتائج الدراسة.

Abstract

The shift from the untamed expanse of the Arabian desert to the spiritual nucleus of the nascent Islamic state was never a mere change of geography; it was a profound psychic upheaval. This paper explores that very transformation—the "Islamic manifestations"—within the verses of the Wafidin, those Bedouin poets who journeyed from the periphery to the presence of the Prophet. It is a study of how the divine word recalibrated the Bedouin soul. I have focused here on three formidable voices: Al-Abbas ibn Mirdas, ‘Abdah ibn al-Tayyib, and Al-Nabighah al-Ja‘di. Their poetry, once rooted in pre-Islamic sensibilities, began to ripple with the grace of new guidance. By adopting a descriptive and analytical lens, I’ve sought to do more than just list verses; the goal is to dissect the interplay between the poetic line and the sacred texts that inspired it. The narrative of this study unfolds through three chapters, each dedicated to one of these poets, before weaving their collective experiences into a final synthesis that captures the enduring impact of faith on the Arabian literary consciousness. It is, in essence, a map of how the desert’s rugged tongue learned the dialect of light.

المقدمة:

الحمد لله الّذي الإنسان وعلّمه البيان، وصلّى الله على من كان حُجّة في البلاغة والفصاحة والتِّبْيان، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا لنُصرة دينه كالبُنْيان، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، وبعد:

فإنّه لمّا كان للإسلام أثَرٌ بالغٌ في نفوس سكّان الجزيرة العربيّة، وبخاصّة الأعراب الذين كانوا يسكنون البادية؛ فإنّ الباحث أن يكشف هذا الأثر من خلال شعر العبّاس بن مراس السلميّ، وعَبَدة بن الطبيب، والنابغة الجعديّ .

وإنّما اختار الباحث هؤلاء الشعراء الأعلام الثلاثة؛ ليكتسب البحث الأصالة والجديّة والانتظام؛ إذ الكلام يتأصّل بأصالة قائله، ويتهمّش بهامشيّته كذلك. جاءت الدراسة مكوّنة من مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ مباحث، خُصِّصَ كلُّ مبحثٍ لواحد من الشعراء الثلاثة الذين تدور الدراسة حول شعرهم. ثم خُتِمتِ الدراسةُ بخاتمة استعرض فيها الباحث أهمّ النتائج التي توصّل إليها من خلال دراسته.

تمهيد :

لم يكن الشعر المتأثّر بالإسلام مقتصرًا على شعراء المدينة – أولئك الذين هاجروا إلى الحبشة أو المدينة، بل تعدّاهم إلى شعراء كانوا يسكنون البادية، ثمّ وفدوا على الرسول الكريم إبَّان الفتح أو بعده، بالإضافة إلى شعر شعراء هاجروا ليُشارِكوا في الفتوحات الإسلاميّة [1].

وفي التفاتة سريعة إلى شعر البادية، نجد أنّ التّطوُّر قد جرى فيه على نحْوٍ طبيعيّ؛ إذ إنَّ النّقلة من الجاهليّة إلى الإسلام لم تكن مفاجِئة، بل كانت متدرّجة بشكل منطقيّ إلى حدٍّ ما ، فلغتهم الشعريّة تُعتبر (حلقة وصل) ضروريّة في التّدرُّج اللغويّ بين لغة الجاهليّة المتقعّرة، ولغة الإسلام السّهلة العفويّة . وذلك يعود إلى أنّهم لم يكونوا من محترفي الشعر وعبيده المحكَّكين، بل ينساب على ألسنتهم في لحظات انفعالٍ أو تأثُّرٍ حقيقيّ، لفقد عزيز أو اغترابه في الفتوح، أو لحَنِينٍ جارفٍ إلى مواطنهم الأولى، أو لفخر بفروسيّتهم وبلائهم في حروب الفتوح . بالإضافة إلى أنّهم كانوا لا يتمتّعون بذلك الإلمام الواسع بتراث الشعر الجاهليّ، ولا يملكون ذلك الرَّصيد الهائل من الألفاظ والعبارات والصُّوَر الّتي كان يتميّز بها الشاعر المحترف، ويتّخذها ركيزة من ركائز النّظم؛ فجاءت أشعار هؤلاء المُقِلّين تلقائيّة في مقطوعات قصيرة، أقرب ما تكون في لغتها وصورها إلى طبيعة العصر، مع ما يشُوبُها من توَتُّرٍ يستدْعيه أحيانًا الانفعالُ الجارفُ تجاه الأحداث [2] .

ولذا كان شعر هؤلاء – بسبب الظروف الّتي سبق ذكرُها – يمثّل الدين الحنيف وتعاليمه وقِيَمه أكثر مما يمثِّل حياة الجاهليّين .

والشعراءُ الّذين يُمكن أن ينضمّوا إلى في سلك الوافدين كثيرون جدًّا، لا يُحصَون عددًا، فرأى الباحث أن يتناول المشهورين منهم، ونماذج من شعرهم الذي أثّر فيه الإسلام الحنيف.

---

(1) الإسلام والشعر، الدكتور فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني / بيروت، ط1، 1990م، ص146 .

(2) في الشعر الإسلامي والأموي، عبدالقادر القط ، دار النهضة العربيّة / بيروت، 1987م، ص49 .

المبحث الأوّل: العبّاس بن مرداس

التعريف بالعباس بن مرداس:

هو العبّاس بن مرداس بن أبي عامر بن رفاعة ... ينتهي نسبه إلى قيس بن عيلان، ويُكنّى أبا الهيثم ويقال أبو الفضل، أحد فرسان الجاهليّة وشعرائهم المذكورين، ووفد على النّبيّ صلى الله عليه وسلم ومدحه فأسلم فأعطاه مع المؤلَّفة قلوبهم [1].

وهو أوّلُ الشجعان الأربعة الذين ذكرهم الخليفة عبدالملك بن مروان عند ما سُئِل عن أشجع العرب شعرًا فقال : " أربعة : عباس ابن مِرْدَاس، وقيسُ بن الخَطيم، وعنترة بن شدّاد، ورجل من مزينة " [2]. ولعلّ ما دعا عبدَالملك إلى جَعْلِه أشجعَهم قولَه [من الوافر][3] :

أَشُـــدُّ عَلَـــى الْكَتِيبَـــةِ لَا أُبَـــالِي أَحَتْفِـــي كَـــانَ فِيهَـــا أَمْ سِـــوَاهَا

وعباس بن مرداس أمُّه الخنساء الشاعرة، وهو من شعراء البادية الّذين وفدوا على النّبيّ ρ وتأثّروا بالإسلام . وكانت وفادتُه عام الفتح، والتحق بالرسول صلى الله عليه وسلم في ألفٍ من بني سُليم، وشارك في نُصرة المسلمين بالسِّنان واللّسان [4].

المعاني الإسلاميّة في شعره:

وأمّا تأثير الإسلام في شعره فمنه قوله [من الطويل] [5]:

مُبْلِـــغُ الْأَقْـــوَامِ أَنَّ مُحَمَّـــدًا رَسُـــولُ الْإِلَـــهِ رَاشِـــدٌ حَيْـــثُ يَمَّمَـــا
دَعَـــا رَبَّـــهُ واسْتَنْصَـــرَ اللَّهَ وَحْـــدَهُ فَأَصْـــبَحَ قَـــدْ وفَّـــى إِلَيْـــهِ وأَنْعَمَـــا
سَـــرَيْنَا ووَاعَـــدْنَا قُدَيْـــدًا مُحَمَّـــدًا يَـــؤُمُّ بِنَـــا أَمْـــرًا مِـــنَ اللَّهِ مُحْكَمَـــا
تَمَـارَوْا بِنَـا فِـي الْفَجْـرِ حَتَّـى تَبَيَّنُـوا مَـعَ الْفَجْـرِ فِتْيَانًـا وغَابًـا مُقَوَّمَـا

فالمتأمّل في هذه الأبيات يجد آثار الإسلام ظاهرة فيها، لفظًا ومعنًى، وواضحة كوضوح الشمس؛ فالبيت الأول يصف فيه الشاعرُ الرسول صلى الله عليه وسلم بالرُّشد حيث قصد وتوجَّهَ إليه، هذا من حيث المعنى، أما من حيث اللفظ فقد تأثّر الشاعر بألفاظ القرآن الكريم الذي جاء به الإسلام، انظر إلى قوله : "

---

(1) معجم الشعراء، المَرْزُباني – تح : عبدالستّار عبدالفرّاج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003م، ص102 .
(2) الدرَّةُ الفاخرة في الأمثال السائرة، الإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني، تح: عبدالمجيد قطامش، دار المعارف / القاهرة، ط3، 2007م، 334/1 .
(3) ديوان العباس بن مرداس السلمي، تح: الدكتور / يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ - 1991م، ص162.
(4) الإسلام والشعر، ص147 .
(5) ديوان العباس بن مرداس، ص141.

حيث يمّما " الذي يريد به (حيث قصد) ألا يُذكِّرُك لفظُه بقولَ الله تعالى: "وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ" [البقرة: ٢٦٧] ، وانظر إلى البيت الثاني تجدْ معناه ولفظه موافقًا لمعنى قوله تعالى: "وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ" [الأنفال: ٧٢] ولفظه. وأما البيت الثالث فقد تأثّر فيه الشاعر بقوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً" [الإسراء: ١]، وبقوله تعالى: "هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ" [آل عمران: ٧]. والبيت الرابع متأثّر بقوله تعالى: "وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ " [القمر: ٣٦].

ويمدح ابن مرداس النّبيّ ρ قائلًا [من الكامل] [1]:

يَـــا خَـــاتَمَ النُّبَـــآءِ إِنَّـــكَ مُرْسَـــلٌ بِـــالْحَقِّ كُـــلُّ هُـــدَى السَّـــبِيلِ هُـــدَاكَا
إِنَّ الْإِلَـــهَ بَنَـــى عَلَيْـــكَ مَحَبَّـــةً فِـــي خَلْقِـــهِ ومُحَمَّـــدًا سَـــمَّاكَا

وهو متأثر هنا بلا ريب بقوله تعالى: "ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ" [الأحزاب: ٤٠] وبالآية الكريمة : "إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ" [البقرة: ١١٩] . وقبل هذا التأثُّر فإنّ هذَيْنِ البيتين يدلّان على عُمقِ إيمان قائلهما، وعلى مدىً بعيدٍ في رسوخ العقيدة الإسلاميّة وتمكُّنها من قلبه .

ويسترسل في قصيدته مفتخرًا بقومه الذين أبلوا بلاء حسنًا في نصرة الرسول ρ والإسلام، قائلاً [2]:

وبَنُـــو سُـــلَيْمٍ مُعْنِقُـــونَ أَمَامَـــهُ ضَـــرْبًا وطَعْنًـــا فِـــي الْعَـــدُوِّ دِرَاكَـــا
يَمْشُـــونَ تَحْـــتَ لِوَائِـــهِ وكَـــأَنَّهُمْ أُسْـــدُ الْعَـــرِيْنِ أَرَدْنَ ثَـــمَّ عِرَاكَـــا

ثم يُقارن بين جاهليّته وما كان عليه من شرك وضلال، وبين إسلامه حيث يَنْعَم بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ويتمَشّى في قِيم الإسلام وتعاليمه السمحة، متعَجّبًا من حالته الأولى، يقول [من الطويل][3]:

لَعَمْـــرِي إِنِّـــي يَـــوْمَ أَجْعَـــلُ جَاهِـــدًا ضِـــمَارًا لِـــرَبِّ الْعَـــالَمينَ مُشَـــارِكًا
وتَرْكِـــي رَسُـــولَ اللَّهِ والْأَوْسُ حَوْلَـــهُ أُوْلَئِـــكَ أَنْصَـــارٌ لَـــهُ مَـــا أُولَئِكَـــا
كَتَـــارِكِ سَـــهْلِ الْأَرْضِ والْحَـــزْنَ يَبْتَغِـــي لِيَسْـــلُكَ فِـــي غَيْـــبِ الْأُمُـــورِ الْمَسَـــالِكَا
فَآمَنْـــتُ بِـــاللَّهِ الَّـــذِي أَنَـــا عَبْـــدُهُ وخَالَفْـــتُ مَـــنْ أَمْسَـــى يُرِيـــدُ الْمَمَالِكَـــا
ووجَّهْـــتُ وَجْهِـــي نَحْـــوَ مَكَّـــةَ قَاصِـــدًا وتَابَعْـــتُ بَـــيْنَ الْأَخْشَـــبَيْنِ الْمُبَارَكَـــا
نَبِـــيٌّ أَتَانَـــا بَعْـــدَ عِيْسَـــى بِنَـــاطِقٍ مِـــنَ الْحَـــقِّ فِيـــهِ الْفَصْـــلُ مِنْـــهُ كَـــذَلِكَا
أَمِينًـــا عَلَـــى الْفُرْقَـــانِ أَوَّلَ شَـــافِعٍ وآخِـــرَ مَبْعُـــوثٍ يُجِيـــبُ الْمَلَائِكَـــا

---

(1) ديوان العباس بن مرداس، ص122.
(2) المصدر نفسه، ص123.
(3) المصدر نفسه، ص120.

وقال العبّاس هذه الأبيات عند أحرق صنمًا له كان يعبده اسمه (ضِمَارٌ) ولحق بالنّبِيّρ فأعلن إسلامه، وكان سبب ذلك قصّة طويلة ذكرها أبو الفرج الأصفهاني[1].

وغنِيٌّ هنا تأثُّر ابن مرداس بالإسلام، وكلُّ ألفاظه وتعابيره مستمدّة من المعاني الإسلاميّة وألفاظ القرآن الكريم؛ فانظر إلى ألفاظه (خاتم النُّبَآء – مرسل بالحقّ – آمنت بالله – رسول الله – أنا عبده – نبيٌّ أتانا بعد عيسى – أمينًا على الفرقان – أوّل شافع – آخر مبعوث) ثمّ انظر إلى قوله تعالى: "وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً" [النساء: ٣٦] وقوله تعالى: "ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلّ شَيْء فَاعْبُدُوهُ" [الأنعام: ١٠٢] وقوله تعالى: "وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ"[آل عمران: ٣ – ٤] وقوله تعالى: "وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" [الحجر: ٦٤] وقوله تعالى: "فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ" [النمل: ٧٩] ألم تر أنّ تلك الألفاظ وهذه الآيات الكريمة أنّها في انسجام تامّ؟! حتّى لكأنّها خرجت من مشكاة واحدة! لا غَرْوَ؛ فإنّ الإسلام عندما يتمكّن من قلبٍ فإنّه سيُفْرِغُه مما سواه .

وله مقطوعةٌ رائعةٌ قالها بعد حُنَين يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله[2][من الطويل] :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ ... بِأَلْفٍ كَمِيٍّ لَا تُعَدُّ حَوَاسِرُهْ
حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرُّمْحِ رَايَةً ... يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهْ
ونَحْنُ خَضَبْنَاهَا دَمًا فَهْوَ لَوْنُهَا ... غَدَاةَ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوَانَ شَاجِرُهْ
وكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ مَيْمَنَةً لَهُ ... وكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وشَاهِرُهْ
وكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَانَةً ... يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ ونُشَاوِرُهْ
دَعَانَا فَسَمَّانَا الشِّعَارَ مُقَدَّمًا ... وكُنَّا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَن يُنَاكِرُهْ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيٍّ مُحَمَّدًا ... وأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ واللَّهُ نَاصِرُهْ

نعمْ، هذا هو الإسلام ! يعمل في قلب ابن مرداس صياغة جديدة في الفكر، تجعله يُحبّ مَن أتى بالإسلام صلى الله عليه وسلم فيمدحه بهذه الأبيات الرائعة، وتجعله يفتخر بما قام به تُجاه النّبيّ صلى الله عليه وسلم من واجبٍ؛ فقد نصره وآزره، ورفع راية الإسلام في وجه أعدائه، مقدّمًا تضحياتٍ جسامًا في سبيل نُصرته، ويفتخر بأنّه ومن معه كانوا ميمنةً للإسلام وأبطالَه الأفذاذ، يتشاورون في أمره، ويُعينونهρ على كلّ من أنكر، ويدعو الله تعالى أن يَجزِيَ محمّدًا النّبيّ صلى الله عليه وسلم خيرًا على ما أتى به من خير وفضل.

وتستشعر في هذه الأبيات قول الله تعالى: "وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ" [آل عمران: ١٥٩]، وقوله تعالى: "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ" [الشورى: ٣٨]، كما تستشعر فيها قوله تعالى: "فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ" [الأنفال: ٦٢]، وقبل هذا قوله – عزّ شأنُه – : "فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ" [الأنفال: ٢٦] .

---

(1) انظر : الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: سمير جابر، دار الفكر / بيروت، ط2، د.ت، 14 / 296.
(2) ديوان العباس بن مرداس ، ص83 – 84 .

وقوله: " وكُنّا له دون الجنود بطانةً " البيت... لفظه متأثّرٌ بقوله تعالى: **"يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مّن دُونِكُمْ "** [آل عمران: ١١٨]، ومتأثرٌ كذلك بحديث النّبيّ صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – وهو قوله: " ما من نَبِيٍّ ولا والٍ إلاَّ له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألُوه خِبالاً " [1].

المبحث الثاني: عَبَدةُ بن الطبيب

التعريف بعبدة بن الطبيب :

من شعراء البادية الوافدين عَبَدَةُ بنُ الطبيب، وهو شاعر مجيد ليس بالمكثر، والطبيب لقب لأبيه، واسمه يزيد بن عمرو، وينتهي نسبه لتميم [2]. وهو شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كان أسود، شجاعًا، شهد الفتوح، وقتال الفرس مع المثنى بن حارثة، والنعمان بن مقرن، بالمدائن وغيرها، وكانت له في ذلك آثار مشهودة [3] .

قدم من البادية على النبيّ صلى الله عليه وسلم في وقد بني تميم في سنة تسع للهجرة، وأسلم، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في حقه: " هذا سيد أهل الوبر" وكان عاقلاً مشهوراً بالحلم والسودد[4].

ومن آثاره المشهودة قصيدته التي مطلعها [من البسيط] [5]:

هلْ حَبْلُ خَوْلَةَ بَعْدَ الْهَجْرِ مَوصُولُ أَمْ أنْتَ عَنْهَا بُعَيْدَ الدَّارِ مَشْغُولُ

وهذه القصيدة قالها في أثناء إلى العراق، ليُشَاركَ في وقائع الحرب بين العرب والفرس. وفيها يتلمّس القارئ تعلُّق عبدة بن الطبيب بالمعاني البدويّة التي اصطحبها معه، بالرُّغم من تحضُّره وتغيُّر أسلوبه، يقول[6]:

حَلَّتْ خُوَيْلَةُ فِي دَارٍ مُجَاورةٍ أَهْلَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدِّيكُ والْفِيلُ

ولكن سرعان ما تهدأُ نفسه، ويستقرّ به الحال؛ فتعود لغتُه إلى عُمقِها الجاهليّ، ومن ثَمَّ يقول[7]:

فَخَامَرَ الْقَلْبَ فِي تَرْجِيعِ ذِكْرَتِهَا رَسٌّ لَطِيفٌ ورَهْنٌ منك مَكْبُولُ

رَسٌّ كَرَسِّ أَخِي الْحُمَّى إذَا غَبَرَتْ يَومًا تَأَوَّبَهُ مِنْهَا عَقَابِيلُ

---

(1) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين / القاهرة، نشرسنة 1415هـ، 219/3 .

(2) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العبّاسي، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، عالم الكتب / بيروت، طبع سنة 1367هـ - 1947م، 102/1 .

(3) الأعلام، خير الدين محمود بن محمد بن عليّ الزركليّ، دار العلم للملايين، ط15 ، 2002م، 172/4.

(4) وفيات الأعيان ، ابن خلّكان، تح: إحسان عباس، دار صادر / بيروت، ط1، 1900م، ج1، ص 183.

(5) شعر عبدة بن الطبيب، تح: يحيى الجبوري، دار التربية للطباعة والنشر، طبع سنة 1391هـ - 1971م، ص8.

(6) المصدر نفسه، ص58.

(7) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ثم يلوم عبدةُ بن الطبيب نفسه؛ فيرى أنّ سِنّه لا تسمح بعد ذلك بالتغزُّل وذكر الأحبّة والصَّبابة، ومن ثَمَّ يلجأُ إلى وصف ثورٍ وحْشيٍّ تطارده كلاب الصّيد، ولكنه يفلت منها وينتصر، وفي انتصاره ذلك أملٌ وتأكيدٌ على سُنَّة البقاء. يقول بأسلوبه الجاهليّ القديم[1]:

حَتَّـى إِذَا مـضَّ طعْنًـا فـي جَوَانِشِـهَا ورَوْقُــهُ مِــنْ دَمِ الأَجْــوَافِ مَعْلُــولُ
وَلَّـى وصُـرِّعْنَ مـنْ حيـثُ الْتَبَسْـنَ بِـهِ مُضَـــرَّجَاتٌ بِـــأَجْرَاحٍ ومَقْتُـــولُ
كَأَنَّـــهُ بَعْـدَ مَـا جَـدَّ النَّجَـاءُ بِـــهِ سَـيْفٌ جَـلا مَتْنَـهُ الأَصْـنَاعُ مَسْـلُولُ
مُسْـتَقْبلُ الـرِّيح يَهْفُـو وهْـوَ مُبْتَـرِكٌ لِسَـانهُ عـن شـمالِ الشِّـدْقِ معْـدُولُ
يُخْفِـــي التُّـــرَابَ بـــأَظْلافٍ ثمانيَـــةٍ فِـــي أَرْبَـــعٍ مَسُّـــهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيـــلُ

فهذه القصيدة في جملتها تصوير للبيئة الجاهليّة، ونموذج لبناء القصيدة في العصر الجاهليّ؛ فترى ذلك في مطلعها ومراحلها المتدرّجة المقرّرة في وصف الوحوش والصّيد والأوابد وما يُشبِهُ ذلك. فبالرُّغْم من ذلك كُلِّه تجد القصيدة مُفْعَمَةٌ بمعانٍ استقاها الشاعر من معاني الدّين الإسلاميّ الحنيف، يتجلّى ذلك في قوله[2]:

نَرْجُـــو فَواضِـــلَ رَبٍّ سَـــيْبُهُ حَسَـــنٌ وكُـــلُّ خَيْـــرٍ لَدَيْـــهِ فَهْـــوَ مَقْبُـــولُ
رَبٌّ حَبَانَـــــا بِـــــأَمْوَالٍ مُخَوَّلَـــــةً وكُـــلُّ شَـــيْءٍ حَبَـــاهُ اللَّهُ تَخْويـــلُ
والْمَـــرْءُ سَـــاعٍ لأَمْـــرٍ لـــيسَ يُدْرِكُـــهُ والْعَـــيْشُ شُـــحٌّ وإِشْـــفَاقٌ وتَأْمِيـــلُ

فإذا كانت قصيدة عبدة بن الطبيب سالفة الذّكر تبدو في زِيِّ القصيدة الجاهليّة – مع ما فيها من معانٍ إسلاميّة في بعض الأحيان – فإنّ له قصائد أخرى مليئة بالمعاني الإسلاميّة، حتى يمكن أن تكون نموذجًا دالًّا على حالة الشعر في صدر الإسلام. وقوله: " والمرء ساع لأمر ليس يدركه... البيت" هو الّذي أُعْجِب به سيّدنا عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – حتّى علّق عليه بعد ما سمعه بقوله: "على هذا بُنِيت الدُّنيا" [3].

وإذا قلَّب باحثٌ شعر عبدة ابن الطبيب، فسيجد قصيدة جميلة قالها في آخر عمره، يُوصي فيها بتقوى الله – عزّ وجلّ – وبرّ الوالدين، ويُحذّر فيها من النميمة والنّفاق، الّذي يبثّ الضغائن والأحقاد، ويأمر بعصيان مَن يمشي بالنميمة وهَجْرِه. ومطلع هذه القصيدة[4]:

أَبَنِـــيَّ إِنِّـــي قَـــدْ كَبِـــرْتُ ورَابَنِـــي بَصَـــرِي وفِـــيَّ لِمُصْـــلِحٍ مُسْـــتَمْتَعُ

---

(1) المصدر نفسه، ص69 – 71.
(2) شعر عبدة بن الطبيب، ص 75.
(3) العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه، تح: أحمد أمين، إبراهيم الأبياري، عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي/ بيروت، (د. ت)، ج5، ص266.
(4) شعر عبدة بن الطبيب، ص 43.

تحدّث لأبنائه فيها هذه القصيدة عن تجاربه الحياتيّة الّتي مرّ بها، ومن ثمّ أوصاهم فقال[1]:

أُوصِـــيكُمُ بِتُقَـــى الإلَـــه فإنّـــه ... يُعْطِـي الرَّغَائِـبَ مـنْ يَشَـاءُ ويَمْنَـعُ
وبِبِـــرِّ والِـــدِكُمْ وطَاعَـــةِ أَمْـــرِهِ ... إنَّ الأَبَـــرَّ مـــن البَنِـــينِ الأَطْـــوَعُ
إنّ الكَبِيـــرَ إذَا عصَـــاهُ أَهْلُـــهُ ... ضـاقت يَـدَاهُ بـأَمْرِهِ مـا يَصْـنَعُ
ودَعُـوا الضَّـغِينَةَ لا تَكُـن مـن شَـأْنِكُمْ ... إنَّ الضَّـــغَائِنَ لِلْقَرَابَـــةِ تُوضَـــعُ
واعْصُـوا الَّـذِي يُزْجِـي النَّمَـائِمَ بَيْـنَكُمْ ... مُتَنَصِّـــحًا، ذَاكَ السَّـــمَامُ الْمُنْقَـــعُ

فمن تمعّن النظر في هذه الأبيات، سيجد الصِّلةَ بينها وبين كثيرٍ من آيات القرآن الكريم وثيقةً وشديدة. على شاكلة قوله تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا" [الطلاق: ٤]، وقوله في السورة نفسها: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا" [الطلاق: ٥]، وقوله تعالى: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]، وقوله تعالى: "وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيًّا" [مريم: ١٤]. وأمّا وقوله: " ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم... البيت" فلا يخفى على القارئ ما فيها من معنى قوله تعالى: "وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا" [الأحزاب: ٤٨].

وانظر كذلك أيُّها القارئ إلى قوله صلى الله عليه وسلم : "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ" [2]، وقول خليفته أبي بكر – رضي الله عنه – : "... أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة... [3]" فهل خَفِيَ عليك ما فيها ذلك من المعاني المتّسقة مع معاني أبيات عبدة بن الطبيب آنفة الذِّكر؟!

لذلك يمكن القول أنّ امْرأً ما لَيَعْجَزُ عن سبْكِ وصيّته بمثل هذه الدِّقَّة، لو لم يتمثّلِ الإسلامَ تمثُّلاً معقولاً. وهذا ما يجعل هذا النوعَ من الشعر ممثِّلاً للحلقة المفقودة بين الشعر الجاهليّ والإسلاميّ[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص 45 – 46.

(2) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر مكتبة الزهراء سنة النشر 1404هـ – 1983م، ج 18 ، ص 245، رقم الحديث: 617.

(3) المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409هـ، ج7، ص91، رقم الأثر: 34431.

(4) الإسلام والشعر، ص 152.

المبحث الثالث: النابغة الجعديّ

التعريف بالنابغة الجعديّ:

اسمه : قيس بن عبد الله، بن عُدَس بن ربيعة، الجعديّ العامريّ، أبو ليلى، شاعر مفلق ... اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثمَّ نبغ فقاله. وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم، وأدرك صفّين فشهدها مع علي كرم الله وجهه، ثم سكن الكوفة فَسَيّره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها وقد كُفَّ بصره [1].

يعتبر النابغة الجعديّ من المعمّرين؛ فلقد اتّفق المؤرّخون أنّه تجاوز المائة، وحدّد بعضهم أنه عاش مائة وثمانين سنة، أو مائتين وعشرين. قال الدكتور/ جواد علي: " وقد أدرك النابغة الجعدي المنذر بن محرق ونادمه... وعمر بعده عمرا طويلا. ذكر بعضهم أنه عمر مائة وثمانين، وذكر بعضهم أنه عمر أكثر من ذلك حتى ذكر بعض منهم أنه عمر مائتين" [2]. والنابغة الجعديُّ نفسه يؤيّد هذا الكلام بقوله [3]:

تَـذَكَّرْتُ والـذِّكْرَى تهـيجُ لِـذِي الْهَـوَى ... ومِـــنْ حاجَـــةِ الْمَحْـــزُونِ أنْ يَتَـــذَكَّرا
نَـــدامَايَ عنـــد المُنـــذِرِ بْـــنِ محـــرّقٍ ... أرَى الْيَـوْمَ مِـنْهُمْ ظَـاهِرَ الأَرْضِ مُقْفِـرَا
أوْلئـــكَ أخْـــدَانِي قَضَـــوْا لِسَـــبيلِهِمْ ... وأصْـــبَحْتُ أَرْجُـــو بعْـــدَهُمْ أنْ أُعَمَّـــرَا

فإذا كان النابغة الجعديّ عاش منذ العصر الجاهليّ، فإنّه عُمِّر حقبة طويلة بعد الإسلام، فقد ذكر صاحبُ الأغاني أنّه قدم على عبدالله بن الزبير عندما ثار الحكم الأمويّ، وذلك في سنة أربع وستّين، حينما بُويِع عبدالله بن الزبير بالخلافة[4]. وهذا ما جعلنا ندرجه في سلك المعمّرين.

يفتخر النابغة بقدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشده شعرًا، منه قوله:

بلَغْنَـــا الســـماءَ مجْـــدُنا وســـناؤُنا ... وإنـــا لَنَبْغِـــي فـــوقَ ذلـــك مَظْهَـــرَا

فقال له النّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنّة؛ قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله. فلمّا انتهى إلى قوله:

ولا خيـرَ فـي حِلْـمٍ إذا لـم تكـن لـه ... بَـــوادِرُ تَحْمِـــي صَـــفْوَهُ أن يُكَـــدَّرَا

---

(1) انظر: تراجم شعراء الموسوعة الشعريّة، المكتبة الإلكترونية الشاملة، ج1، ص 851.
(2) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور/ جواد علي، دار الساقي، ط4، 1422هـ - 2001م، ج18، ص413.
(3) ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: الدكتور واضح الصمد، دار صاردر / بيروت، ط1، 1998م، ص87.
(4) انظر: الأغاني، ج5، ص12.

فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم "لا يفضفض الله فاك"[1]. وهذا نوعٌ من الفجر جديدٌ لم يعهدْه الجاهليّون؛ فليس من بواعث الفخر عندهم أن يفتخروا بأمور الاعتقاد، فإنّ بواعث الفخر عندهم تدور في أكثر الأحيان في الكرم والجود، والشجاعة، والأحساب والأنساب... أمّا أن يفتخر الشاعر بشخصيّة ذات طابع دينيّ واعتقاديّ، فإنّ ذلك من التأثيرات الإسلاميّة فيهم.

وإذا رجعنا إلى ألفاظ النابغة الجعديّ بعد وفوده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فسنجدها كذلك متأثرة بالأسلوب الإسلاميّ في الكلام، فانظر إلى قوله حين خرج مجاهدًا في سبيل الله:

لَــوَى اللَّهُ عِلْــمَ الْغَيْــبِ عَمَّــن سِــوَاءَهُ وَيَعْلَــمُ مــا مِنْــهُ مَضَــى وتَــأَخَّرَا

فإنّه شديد الصّلة بقوله تعالى: "**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**" [الأنعام: ٥٩]، وقوله عزّ شأنه: "**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ**" [آل عمران: ١٧٩]، وقوله جلّ وعلا: "**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً** " [الجن: ٢٦].

ولعلّ من أفضل قصائد النابغة المتأثرة بالإسلام وقِيَمِه السمحةِ قصيدَتَهُ التي يقول فيها[2]:

الْحمــــــدُ للَّهِ لا شَــــــرِيكَ لَــــــهُ مَــــن لــــمْ يَقُلْهَــــا فَنَفْسَــــهُ ظَلَمَــــا
المُــولِجُ اللَّيْــلَ فِــي النَّهَــارِ وفِــي الــ لَّيْــــلِ نَهَــــارًا يُفَــــرِّجُ الظُّلَمَــــا
الْخَــافِضِ الرَّافِــعِ السَّــماءَ علــى الْــ أَرْضِ ولَــــمْ يَــــبْنِ تَحْتَهَــــا دِعَمَــــا
الْخَــالِقِ الْبَــارِئِ الْمُصَــوِّرِ فــي الْــ أَرْحَــامِ مَــاءً حَتَّــى يَصِــيرَ دَمَــا
مِــــن نُطْفَــــةٍ قَــــدَّهَا مُقَــــدِّرُهَا يَخْلُــــقُ مِنْهَــــا الأَبْشَــــارَ والنَّسَــــمَا
ثُــــمَّ عِظَامًــــا أَقَامَهَــــا عَصَــــبٌ ثُمَّــــتَ لَحْمًــــا كَسَــــاهُ فالْتَأَمَــــا
ثُــــمَّ كَسَــــا الــــرِّيشَ والْعَقَــــائِقَ أَبْــــ شَــــارًا وجِلْــــدًا تَخَالُــــهُ أَدَمَــــا

ففي هذه الأبيات ترى ألفاظ القرآن الكريم والمعاني الإسلاميّة تزدحم ازدحامًا شديدًا متراصًا، مما يجعل من الصعوبة بمكان مجاراة النابغة في أسلوبه ونظمه، واستطاعته على صَهْرِ تلك الألفاظ والمعاني والقيم. فكلّ لفظةٍ من ألفاظ الأبيات السابقة تدلّ على إيمان الشاعر العميق، واستيعابه لمجمل القرآن الكريم.

فلا يخفَى على القارئ تأثُّر هذه الأبيات بالآيات القرآنيّة الطاهرة؛ ففي صدر البيت االأوّل: الحمد لله ... تجد ملامح سورة الفاتحة واضحة وضوح الشمس، وفي قوله: "من لم يقلها فنفسه ظلما" استشعارٌ لقوله تعالى: " **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**" [يونس: ٤٤]، ثم تجد الحديث مستفاضًا عن نظام الكون الدالّ قدرة الله وجليل صنعه وتقديره على نظام مُحْكَمٍ بديع، والنابغةُ هنا يستقِي من قوله تعالى: "**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**" [آل عمران: ٢٦ – ٢٧]، كما أنّك بدون شكّ تجد ملاح قوله تعالى: "**اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**" [الرعد: ٢] ماثلةً أمَامك، وإذا تأنَّيْتَ قليلاً وتمعَّنت في هذه الأبيات كذلك، فسيُخَيَّلُ لك أنّك تتلو آياتٍ من سورة المؤمنون، التي يقول فيها عزّ من

(1) العقد الفريد، ج2، ص42.
(2) ديوان النابغة الجعدي، ص147 – 148.

قائل: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" [المؤمنون: ١٢ – ١٤]، أو يُخَيَّلُ إليك أنّك تقلّبُ الصفحات في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فتقِفُ على قوله: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ..." [1].

وما نكاد نترك تلك الأبيات وتأثُّرها بالآيات القرآنيّة الطاهرة، والحديث النّبويّ الشريف، حتّى نصطدم بقوله[2]:

يـــا ابْنَـــةَ عَمّـــي كِتَـــابُ اللهِ أَخْرجنِـــي ... عَـــنكُم وهَـــلْ أَمْـــنَعَنَّ اللهَ مَـــا فَعَـــلا
فَـــإِنْ رَجَعْـــتُ فَـــرَبُّ النَّـــاسِ يُرْجِعُنِـــي ... وإِنْ لَحِقْـــتُ بِرَبِّـــي فَـــابْتَغِي بَـــدَلا
مَـــا كُنـــتُ أَعْـــرَجُ أَوْ أَعْمَـــى فَيُعْـــذِنِي ... أَوْ ضَـــارِعًا مِـــن ضَـــنًى لـــم يَسْـــتَطِعْ حِـــوَلا

"نتوقف أمام هذه الأبيات على ظاهرتين: الأولى (تأثُّره بالقرآن الكريم)؛ فالجهاد في سبيل الإسلام واجبٌ على المسلمين، انطلاقًا من آيات كثيرة وردت في هذا الخصوص، منها: "إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ " [البقرة: ٢١٨]، ومنها أيضًا: "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ " [الحج: ٧٨]، كما أنّ تلك الأبيات متأثرةٌ بلا ريبٍ بقوله تعالى: "لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ" [الفتح: ١٧]. أمّا الظاهرة الثانية فهي (ظاهرة الجهاد في سبيل الله)؛ فبعد أن وطَّد الإسلامُ أركانه في الجزيرة العربيّة، امتدّ إلى الشام ومصر وإيران، وصاحَبَ هذا الامتداد حروب ومعارك بطوليّة، فصاحَبَ هذه الحروبَ والمعاركَ كثيرٌ من شعر الفتوحات"[3].

وفي موقف النابغة الجعدي في هذه الأبيات ردٌّ على بعض المستشرقين الذين يزعمون أنّ الفتوحات الإسلاميّة لم تكن ابتغاء وجه الله، ولا حبًّا في تعاليم الإسلام؛ وإنّما هي لكسب الغنائم والاستيلاء على خيرات البلاد المفتوحة، فشعر النابغة في هذا الصّدد جاء ردًّا على هذه المزاعم الكاذبة؛ فالشعراء المجاهدون في سبيل الله بألسنتهم وسيوفهم لا يبغون مغانم الدنيا وخيراتها، وإنّما يرجون الفوز بثواب الله تعالى ومرضاته؛ فتجدهم متأثرين كلّ التأثير بقوله: "فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" [النساء: ٧٤]، وقوله عزّ من قائل: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [البقرة: ٢١٦] ، فالنابغة الجعديّ استلهم كلّ ذلك من الآيات السابقة، كما هو ظاهرٌ في أبياته سالفة الذّكر[4].

فالاقتباس من ألفاظ القرآن الكريم في الأبيات السابقة واضحٌ كلّ الوضوح، ثمّ انظر إلى قوله[5]:

فَـــائْتَمِرُوا الآنَ مَـــا بَـــدَا لَكُـــمُ ... واعْتَصِـــمُوا إِنْ وَجَـــدتُمُ عِصَـــمَا

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة دار الرسالة، ط2، 1420هـ - 1999م، ج6، ص125.
(2) ديوان النابغة الجعدي، ص138.
(3) الإسلام والشعر، ص158 - 158.
(4) المصدر نفسه (بتصرف).
(5) ديوان النابغة الجعدي، ص148.

يتجسّد أمامك معنى قوله تعالى: "وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ" [آل عمران: ١٠٣]، ويكنّي النابغة عن اسم حبيبته ولا يذكره، مع أنّه يعلم يقينًا أنّ الله يعلمه ويعلم كلَّ ما يخفى على غيره من خلقه، يقول:[1]:

أُكَنِّـــي بِغَيْـــرِ اسْـــمِهَا وقَـــدْ عَلِـــمَ اللَّهُ خَفِيَّـــاتِ كُـــلِّ مُكْتَـــتَمِ

مستلهمًا ذلك من قوله تعالى: "رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" [إبراهيم: ٣٨].

هذا، بالإضافة إلى استلهام بعض أقاصيصه من القصص القرآنيّة، التي تتجلّى في مثل قوله[2]:

يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ هَـلْ تَـرَونَ إِلَـى فَـارِسَ بَـادَتْ وخَـدُّهَا رَغِمَـا
أَمْسَـوا عَبِيـدًا يَرْعَـوْنَ شَـاءَكُمُ كَأَنَّمَـا كَـانَ مُلْكُهُـمْ حُلُمَـا
مِـنْ سَـبَأَ الْحَاضِـرِينَ مَـأْرَبُ إِذْ يَبْنُـونَ مِـنْ دُونِ سَـيْلِهِ الْعَرِمَـا
فَمُزِّقُـوا فِـي الـبِلادِ واعْتَرَفُـوا الْـ هَـوْنَ وذَاقُـوا الْبَأْسَـاءَ والْعَـدَمَا
وبُـدِّلُوا السِّـدْرَ والأَرَاكَ بِـهِ الْخَمْـ ـطَ وأَضْـحَى الْبُنْيَـانُ مُنْهَـدِمَا

فهذه الأبيات مستلهَمةٌ كلَّ الاستلهام من سورة "سبأ" فقد قال الله تعالى: " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ" [سبأ: ١٥ – ١٦].

ونختم حديثنا عن النابغة الجعدي بذكر استلهامه من قصّة نوح –عليه السلام– مع ابنه، التي وردت في سورة هود، في قوله تعالى: "وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ" [هود: ٤٢ – ٤٣]، استلهم النابغة من هاتين الآيتين فقال [3]:

فِـــي هـــذه الأَرْضِ والسَّـــمَاءِ ولا عِصْـــمَةً إِلّا لِمَـــنْ رَحِمَـــا

هكذا كان النابغة الجعديّ، عاش عمرًا طويلاً، كان في الجاهليّة شاعرًا مجيدًا ينهج نهج الفحول أسلوبًا وأغراضًا، وبعد أن أشرقت شمسُ الإسلام، ورزقه الله الهداية، وَهَبَ نفسه للإسلام، وأخذ يتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار، يستقي منه معانيَ شعرِهِ الّتي جاءت متمثلة لقيم الإسلام وتعاليمه تمثُّلاً واعيًا عميقًا، بالإضافة إلى أنّه استعار كثيرًا من ألفاظه وصوره البيانيّة، فبلغ بها حدًّا لا يُجارَى.

كما أنّه استمدّ من قصصه كثيرًا من مادّته الشعريّة؛ فجاء شعره معبّرًا عن مرحلة الدعوة في صدر الإسلام الأول، فقد عبّر عن ذلك بكل صدقٍ ووضوح[4].

---

(1) المصدر، ص157.
(2) ديوان النابغة الجعدي، ص149.
(3) ديوان النابغة الجعدي، ص149.
(4) الإسلام والشعر، ص162.

الخاتمة:

وبعدُ: فنستطيع أن نختم هذا البحث بما توصّلتْ إليه الدراسة من خلاله، وذلك كما يلي:

- ترك الإسلامُ أثرًا عميقًا في نفوس الأعراب، بعد أن كانوا غارقين في العادات الجاهليّ، والمظاهر البدويّة المتحجّرة؛ فاكتسبوا من الإسلام السهولة اللطافة.
- اكتسب شعراء البادية الوافدون فخرًا جديدًا لم يكونوا يألْفونه، وذلك هو الفخر الّذي بالديانة والاعتقاد، وظهر ذلك جليًّا عندما يفتخرون برسول الله ρ وبالجهاد في سبيل الله، والفخر بانتمائهم للملّة الإسلاميّة السمحة.
- انحسار الوصايا عند هؤلاء – في أكثرها – في تقوى الله عزّ وجلّ، بعد أن كانت وصاياهم تدور في أمور الجاهليّة، كالحثّ على الأخذ بالثأر مثلا.
- تطوّر هؤلاء الشعراء عقليًّا؛ فأصبحوا يفكّرون في الكون ونظامه المُحْكَم، ويتحدّثون عن أطوار خَلْقِ الإنسان، منذ أن كان في بطن أمّه إلى شيخوخته، مستدلين بذلك على كمال قدرة الله تعالى.
- الرّد على زَعْمِ بعض المستشرقين الذين زعموا أنّ الفتوحات الإسلاميّة لم تكن ابتغاء وجه الله، وإنّما كانت لطلب المال، والغنائم؛ فجاء الرّدُّ على ذلك من خلال أبيات النابغة الجعدي، الّتي تدلّ على صدق المجاهدين، وأنّ الجهاد عندهم كان ابتغاءً لمرضاة الله تعالى.

وبعدُ: فيتمنّى الباحث أن يكون قد وُفِّقَ إلى مراده في هذه الدراسة، وأن يكون قد أدْلَى بدَلْوِهِ في الدراسات الأدبيّة. ونسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وخدمةً للغة القرآن الكريم، إنّه الوليُّ على ذلك والقادر عليه!!

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الإسلام والشعر، الدكتور فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني / بيروت، ط1، 1990م.
3. الأعلام، خير الدين محمود بن محمد بن عليّ الزركليّ، دار العلم للملايين، ط15 ، 2002م.
4. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: سمير جابر، دار الفكر / بيروت، ط2، (د.ت).
5. تراجم شعراء الموسوعة الشعريّة، المكتبة الإلكترونية الشاملة.
6. الدرَّةُ الفاخرة في الأمثال السائرة، الإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني، تح: عبدالمجيد قطامش، دار المعارف / القاهرة، ط3، 2007م.
7. ديوان العباس بن مرداس السلمي، تح: الدكتور / يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ – 1991م.
8. ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: الدكتور واضح الصمد، دار صاردر / بيروت، ط1، 1998م.
9. شعر عبدة بن الطبيب، تح: يحيى الجبوري، دار التربية للطباعة والنشر، طبع سنة 1391هـ – 1971م.
10. العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه، تح: أحمد أمين، إبراهيم الأبياري، عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي/ بيروت، (د. ت).
11. في الشعر الإسلامي والأموي، عبدالقادر القط ، دار النهضة العربيّة / بيروت، 1987م.
12. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة دار الرسالة، ط2، 1420هـ – 1999م.
13. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409هـ.
14. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العبّاسي، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، عالم الكتب / بيروت، طبع سنة 1367هـ – 1947م.
15. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين / القاهرة، نشرسنة 1415هـ.
16. معجم الشعراء، المَرْزُباني – تح : عبدالستّار عبدالفرّاج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003م.
17. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر مكتبة الزهراء سنة النشر 1404هـ – 1983م.
18. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور/ جواد علي، دار الساقي، ط4، 1422هـ – 2001م.
19. وفيات الأعيان ، ابن خلّكان، تح: إحسان عباس، دار صادر / بيروت، ط1، 1900م.